خالد شناوي

أثر الدم

رواية

مكتبة نوميديا 98
Telegram@ Numidia_Library

أثر الدم

خالد شناوي
أثر الدم
ردمك: 978-9931-677-27-7
الإيداع القانوني: السداسي الثاني 2018

الجزائر تقرأ
8 شارع حسالي يسعد، الجزائر الوسطى
مدير النشر: عبد الرزاق بوكبة
إيميل: nashr@dzreads.com
/dzreads @dz_reads dzreads.com

جميع الحقوق محفوظة ©

خالد شناوي

أثر الدم

إهداء

شكراً لمن سقتني الحياة... حفظ الله أمي

رحمة الله على الأب الذي نفخ في قلبي العزيمة...

أهدي هذا العمل المتواضع لمن دعمتني بفنجان قهوة كلما رفعت قلمي... إلى زوجتي وابننا.

شكراً إخوتي...

تمنيت لو عاش ابني الأول ليقرأ القصة التي كتبتها اليد التي دفنته.

«الخوف لا يفرق بين قلوب البشر حين يتغلغل... لكن البشر حين الخوف يختلفون».

تهشم سكون ليلِ القرية على صراخٍ مرعب!

لستُ قاتلاً! لستُ قاتلاً!

رجلٌ يحُثُّ الخُطى جرياً... صدى وقعِ قدميه الحافيتين يُسمعُ كحفيف ثعبان متقطع... يعدو وسط الطريق لا يتبعه سوى أضواء المنازل تضيء تِباعاً، إذ لو شاهدتَها من السماء لبَدَتْ كألعاب ضوئية يطَّردُ اشتعالها قُدُماً واحداً تلو الآخر... وأصوات فتح النوافذ ملأت الجو بفرقعات كأنها أوحتْ له بصوت قفل الأصفاد فَعَلا صراخه (لستُ قاتلاً!) وصمتت القرية أمام مشهد الشاب المضرج بالدماء من رأسه إلى أخمص قدميه! ...

سيسميه الناس لاحقاً "الفزاعة الدامية"

سؤال واحد دار في خَلَدِ كلّ من شَهِد تلك الليلة: من هذا؟ ومن المقتول؟

***

استفاقت قرية الدعاوي ولكن الحديث لم يكن عن حادثة الليلة الفائتة! عجيب! كيف لم يتكلموا عن ذلك أو عن الدم الذي رسم آثار أقدامٍ وسط الطريق!

لم يتكلموا عن القاتل أو القتيل لأن بعض العائلات كانت مذعورة لفقد الأولاد! اختفى كلُّ الأطفال الذكور ذوي العشر سنوات! خمسة عشر طفلاً اختفوا من الوجود بلا أثر في ليلةٍ واحدة!

"لستُ قاتلاً" ربما كانت هذه الجملة تُعمِّق أحزان الأولياء المفجوعين حين تتردد داخل عقولهم المشتتة مستحوذةً على ذاكرتهم... ولم يكن تعاطف العائلات الأخرى لِيَمحَق الرعب الذي يرُجُّ قلوب الأمهات اللواتي وجدن أنفسهن حائراتٍ، فلا هُنَّ ثكالى فينتحبن نحيب الوداع ولا هُنَّ آملاتٌ فيرفعن الأيدي

بالدعاء... لكن الحقيقة هي أن الجميع كانوا واجمين صامتين، لا يتكلمون إلا بالدموع... وبنظراتهم الفارغة الغريبة!

إمام القرية تكلم حين اتصل بالشرطة من الهاتف العمومي الوحيد...

***

- هيا أيها الشرطي! أسرع في تحميل ما نحتاجه فأمامنا عملٌ كثير... يجب أن نستجوب كل السكان وبالأخص ذوي المفقودين... كما أن آثار أقدام ما يوصف بالفزاعة الدامية قد تزول في أية لحظة.

- لكن سيدي المحقق "ورشان"، أليست القضية أكبر من قدراتنا؟ لماذا لا نطلب الدعم والمساعدة؟

- يا "محجوب" طلبت منك مراراً ألا تتذمر من العمل، واعلم أن قرية الدعاوي منطقة منبوذة، سنكون نحن بغال الحرث هذه المرة، وربما تتدخل السلطات لاحقاً عندما تتجلى خيوط القضية.

- سيد ورشان لطالما تساءلت عن سبب تسميتها بقرية الدعاوي لكنك ترفض أن تجيبني في كل مرة!

لم يُجب ورشان... ركب السيارة وأدار المحرك وهو يهمهم بكلمات غير مفهومة كأنه يلعن اليوم الذي جاء فيه إلى هذه البقعة... أسرع محجوب وركب بجانبه... أقلعت السيارة المهترئة ذات قوة حصانين، تنفث دخاناً أسود وتتجشأ كلما داس ورشان على الدواسة... تسلقتْ طريقاً وعراً يربط بين مركز الشرطة وقرية الدعاوي... وصل الشرطيان لكنهما لم يجدا احتجاجات أو شموع ولا حتى حملات بحث أو صورٍ معلقة للأطفال المفقودين! الأزقة خاوية إلا من أكياس النفايات... ما هذا الجو الغامض الذي يخيم على القرية؟!!

***

طرق المحقق ورشان كل الأبواب... أصابه الضجر إذ بدا له الأمر وكأن الجميع متفق على كلمة واحدة "لا أدري... لم ألحظ شيءً... لا أشك في أي شخص... لم أتعرف على الفزاعة الدامية"!!! أمرٌ مثيرٌ للشكوك!

استجوب الجميع تقريباً... لم يتبقَّ غير القائم بأمور المسجد وهو شاب خلوق لم يظهر منذ ثلاثة أيام قبل الحادثة، ومعلم القرية المعتاد على السفر أثناء العطلة... وبوبريطة المجنون، مجنون مشرد يظهر ويختفي ويتكلم بالألغاز.

قال الشرطي محجوب: سيدي علينا أن نتبع آثار الدم الآن، ليتنا كنا نملك كلباً مدرباً!

لكن المحقق ورشان لم يعره اهتماماً وتوجه إلى أكياس النفايات... أصابه الذهول! أخذ يتنقل من كيس لآخر كالمجنون! أمام بيت كل عائلة فقدت طفلاً يوجد كيس قمامة رميت فيه ملابس طفل قد يكون بعمر العاشرة!

ما الذي يحصل في قرية الدعاوي؟

***

- سيدي ورشان! هل تريدني أن أحَمِّل النفايات في السيارة بينما تتبع أنت آثار الدم! فيما تفكر سيدي؟ سأل محجوب.

- الجو غائم وأخشى أن تُمطر، أسرع في جمع الأدلة ثم خذ عينات من الدم، وبعدها عد إلى الإمام واسأله لماذا لم يبلغ عن غياب القائم بأمور المسجد وهل يعرف مكانه...

انطلق ورشان يتبع آثار الدم، كانت الخطوات في خط مستقيم تقطع القرية من شرقها إلى غربها، الغريب أنها تبدأ مباشرة من لا شيء! لا توجد بركة دم! ليست خارجة من بيت! أثر وسط الطريق ثم تستمر الخطوات... مشى ورشان قرابة الخمس مائة متر وبدأت الآثار بالتلاشي... عندما اقترب ورشان من مشارف المقبرة، لمع البرق ثم هدر الرعد وانهمر وابل مطرٍ مسح كل شيء... وبقي ورشان واقفاً كتمثال مبلل يائس ينظر إلى ذلك المشهد في قمة المقبرة، يسميه الناس "الوالية"...

«الأمل ممحاة تمسح العقبات وتنتهي بنهايتها الحياة»

وقف ورشان تحت المطر ينظر إلى ذلك الكوخ (الوالية) في قمة تلة المقبرة... شيء ما كان يحثه على الصعود لكن المطر والوحل ودنو الشمس من المغيب أثناه عن الدوس بين القبور القديمة... ثم ما الداعي من البحث في كوخ متهاوي... استدار ورشان راجعاً إلى القرية، في اللحظة التي استدار

فيها لم يلحظ ذلك الخيال الذي خرج في نفس الوقت من الوالية... رجل أسود... لا! ليس سواداً طبيعياً! لأنه حين وقف تحت المطر ينظر إلى السماء بدأ سواد الدم الجاف ينجلي عن وجهه، بينما ورشان يسير منزعجاً من صوت قدمه داخل حذائه الممتلئ بالماء، كلما خطا خطوة سمع صوتاً كأنه يدوس على

حبة طماطم... ثم توقف فجأة كأن حدسه يرده إلى المقبرة... التفت... فلم يرى غير القبور الساكنة تعلو تلتها الوالية، فأكمل طريقه وهو يقول: (محجوب الأحمق، لماذا لا يأتي ليقلني... من أين أتاني هذا الغبي) لم يعرف أنه كان على بعد أمتار من شخص مريب واستمر في المشي يقلب الأفكار على صوت دعس الطماطم في حذائه.

***

في صباح اليوم التالي...

أمسك ورشان عبوة الإطفاء وجرى بسرعة نحو الفرن ليطفئ النار وهو يكاد يختنق بسبب الدخان... دخل محجوب يسأل: هل كل شيء بخير سيدي؟

- تباً لك محجوب! تترك الفرن متقداً وتخرج! ماذا سنأكل الآن؟

- لا تقلق سيدي وجبتنا جاهزة... أمّا ما احترق في الفرن فلقد فعلتُ ما أمرتني بفعله... تجفيف حذائك وجواربك... وضعتها في الفرن لتجف بسرعة... قالها بفخر!

- أيها الإمعة عديم الذكاء! أحرقت حذائي الوحيد! اذهب واشتري لي غيره من مالك الخاص! كما لم تعلمني عن استجوابك للإمام!

قال محجوب: سيدي لقد رفض الحديث مع شخص غيرك أنت.

- حسناً... اغرب عن وجهي يا عديم النفع!

خرج محجوب مقطب الحاجبين... جلس ورشان على مكتبه ينظر إلى الملفات أمامه... شخص مجهول يدعي أنه ليس قاتلاً... وإن كان هنالك قتيل فمن هو! وخمسة عشر طفلاً مفقودون في ليلة واحدة... وعائلاتهم يبدو عليها التوتر أكثر من الحزن أو الخوف، وملابس أطفال في القمامة قارنها مع ملابسهم في الصور فكان بعضها مما لبسوه في الصورة!

أمسك ملفات الأطفال فشده أمر غريب... تاريخ ميلاد الطفل الأول هو 06/06/2006 نفس تاريخ ميلاد طفل آخر! ثم تفحص كل الملفات واكتشف ان كل الأطفال المفقودين مولودون في نفس اليوم! 06/06/06

***

إنه اليوم الثاني من التحقيق... ورشان يسوق غير مبالٍ بثرثرة محجوب أكثر من معاناته مع الحذاء الضيق الذي اشتراه له... حتى ظهر أمامه شخص وسط الطريق! داس ورشان على المكابح وأغمض عينيه.... بعد ثوانٍ أدرك أنه لم يسمع صوت ارتطام! فتح عينيه... فالتقت عيناه بعيني رجل أشيب أشعث كث اللحية في ثياب مهترئة... لا بد أنه مجنون القرية...

اقترب المجنون من نافذة السيارة وقال: (يا الماشي بعّد هاذ الغاشي... يهبلوا الغريب ويقتلوا الحبيب... جامعهم تقوليب وديارهم مغارة الذيب) ثم مضى يكرر كلماته... شعر ورشان أن في كلامه ألفة أو ذاكرة لديه... لكنه أكمل طريقه على صوت محجوب يغني أو بالأحرى ينعق كأنه في عالم آخر.

***

وصل ورشان إلى القرية وتوجه مباشرة إلى منزل المعلم، طرق الباب لعله يكون قد عاد من سفره، طرق مرّات ومرّات لكن لا من مجيب... كان يهمّ بكسر الباب عندما سمع قائلاً خلفه (السلام عليكم) إنه إمام القرية الذي أردف قائلاً:

- لا تتعب نفسك فهو في عطلة، كما أن خبر فقد الأطفال

لن يعجل بعودته فهم كلهم تلاميذه، لدينا قسم واحد.

- هل تقصد أنه لا يوجد متمدرسون غير أولئك المختفين؟

- أقصد أنه لا يوجد أولادٌ آخرون غير أولئك... العائلات الخمسة عشر الأخرى لم ترزق بأولاد.... أظن أنك لا تعرف كل شيء عن قريتنا المسماة قرية الدعاوي.

- لو كنت أعرف كل شيء لما كلفت نفسي هذا العناء، أردت أن أستفسر من المعلم عن سر تواريخ ميلاد الأطفال المتطابقة...

نظر الإمام الى الأرض ثم رفع رأسه وقال:

- الناس هنا يؤمنون بالخرافات، النساء اللواتي حملن تسترن عن حملهن خوفاً من "الدعاوي"، وكن يلدن في بيوتهن سراً خشية أن يفقدن أبناءهن، واستمرين في إخفاء الاولاد لسنوات، لكن منذ قدوم المعلم جزاه الله خيراً أخذ في حث الناس على التعلم وترك الخرافات، فأقنعهم شيءً فشيءً لكن المشكلة كانت في كون كل المواليد غير مسجلين، فاتفقوا على تسجيلهم بنفس تاريخ ميلاد

المعلم 06/06 تيمناً به وعلى تقدير أنهم ولدوا سنة 2006 ليتمدرسوا في قسم واحد معاً.

تذكر ورشان كلمات المجنون... جامعهم تقوليب وديارهم مغارة الذيب.

***

سأعود بكم إلى زمن بعيد... قبل سبعين عاماً... كان اسم قرية الدعاوي "دوار البخور"... اشتهر ذلك الدوار وقتها بالشعوذة... كان مقصد كل باحث عن السحر الأسود, سحر يتوارثونه أباً عن جد, طقوسٌ رهيبة دامية وقصص تُحكَى عن بلدة من عالم الخيال... جاءهم ذات يوم رجلٌ صالح يدعوهم إلى التوبة وينهاهم عن الشر المقيم ببلدتهم, فلما عصوه وقف على مدخل البلدة ينصح الداخل بالرجوع وينهى الخارج منها عن طاعة السحرة المشعوذين... ضاق السحرة به درعاً فهددوه بإلقاء السحر على ابنه... ففعلوا ولكنه لم ينصع لهم... ثم اتفقوا على قتله... رموه بسهم مسموم فلما علم أنه ميت لا محالة رفع يديه الى السماء وقال «الله يقطع عليكم الضنايا و تعيشو معيشة الذيب, ولي يخرج منكم من هنا يموت ولا يعيب... ولي

دار الشر يجيه نهار وما يلقا طبيب» وجعل يكررها على مسامع الداخل والخارج من البلدة حتى فاضت روحه إلى بارئها.

«لكل لغز حل لا يجده إلا من يعشق الألغاز»

استجوب المحقق ورشان إمام القرية حول المدعو "بندين" القائم بأمور المسجد فأخبره أنه شابٌ ثلاثيني جاء إلى القرية منذ سنوات بحثاً عن عمل، ومن عادته أن يسافر لزيارة أهله، لكن الإمام قال جملة رسخت في ذهن ورشان (بندين شابٌ كئيبٌ يبحث عن السكينة ولعل هذا ما جعله يدخل قريتنا) ... ورشان يعرف الأسطورة القائلة بأن من يسكن قرية الدعاوي لا يخرج منها سالماً... ورشان ليس من النوع الذي يعتمد على الأساطير في حل قضاياه... لكن هذه القضية...!!!

***

بينما كان المحقق ورشان يحاول جاهداً ربط الأدلة ببعضها، انتشرت قصة اختفاء الأطفال كالنار في الهشيم، وانتشرت قصصٌ عن حالات اختفاء أطفالٍ بعمر العاشرة في مناطق أخرى سابقاً، بل شاع أن حوادث مشابهة حصلت في بقاع مختلفة من العالم منذ سنوات عديدة! ربما هي نزعة البشر لنسج الأساطير بتجميع الصدف في وعاء الخيال، ولعل للأمر قصة أكبر من قرية الدعاوي...

***

سئم المحقق ورشان من البحث عن مفتاحٍ أسود في جبل فحم... محجوب كان يصب الماء في جحر النمل! كأنه طفل كبير يستمتع بذلك! قام ورشان من مكانه وركله وقال:

(لا تذهب إلى القرية حتى أرجع)

أقلع ورشان سيارته الحصان واتجه صوب المدينة لمناقشة القضية مع أصحاب المراتب العليا... تجاهلهم للقضية يثير غضبه... بعد طريقٍ طويلٍ وصل ورشان إلى مركز شرطة المدينة... نزل من السيارة وهو يتمايل بسبب آلام ظهره وآلام

قدميه اللتين تُعتصران في حذائه الضيق... تقدم بطلب مقابلة محافظ الشرطة وبقي في الانتظار، وخلع حذاءه... بعد ساعة من الانتظار شعر بأنه تم تجاهل طلبه! كرر طلبه مجدداً فتيقن من أن الشرطي الجالس أمامه يتجاهله! لم يتمالك ورشان نفسه واصابته نوبة غضب فأحدث فوضى عارمة وحمل فردة حذائه محاولاً رمي عون الاستقبال! استدعى الأمر تدخل ثلاثة أعوان شرطة لضبطه...

- اتركوه! (صوت أجش عميق ذو بحة مهيبة....)

- حاضر سيدي المحافظ!

انسحب أعوان الشرطة بينما عون الاستقبال يرمق ورشان بنظرة ناقمة!

قدم ورشان التحية للمحافظ الذي أدخله الى مكتبه وقبل أن ينطق ورشان بكلمة واحدة أخذ المحافظ ورقة وقلم... كتب كلمات عليها... أعطاها لورشان وطلب منه الانصراف قائلاً:

- انصرف أيها الحافي! تعلم أن تقابل قائدك بهندام محترم!

أصيب ورشان بالدهشة! ألقى نظرة على الورقة فقرأ عليها:

(اخرج متظاهراً بالغضب... وافني الليلة في الحديقة العمومية على الساعة التاسعة عند النافورة، إنهم في كل مكان، كن حذراً)

خرج ورشان من المكتب غاضباً حقاً غير متظاهر! حمل حذاءه في يديه وخرج حافياً مذهولاً ولم يستوعب ما يحصل...

ركَن ورشان سيارته أمام المطعم أين تناول عشاءه, رمى حذاءه الضيق اللعين في صندوق السيارة وانتعل خفين ليتوجه ماشياً صوب الحديقة العمومية, كلفه ذلك دقائق من التأخير... كانت الساعة تشير إلى التاسعة والربع ليلاً عندما وصل إلى النافورة... على الكرسي قبالتها جلس محافظ الشرطة مطأطئ الرأس مشبكاً أصابع يديه على ركبتيه المضمومتين, شعره الرمادي يرقص مع النسيم أما هو فلا يتحرك... جلس ورشان بقربه وقلد جلسته منتظراً أن يبدأ المحافظ بالكلام... لا يسمع غير خرير الماء... الرجلان واجمان... قرر ورشان أن يفتح الحديث فحرك رأسه ببطء صوب المحافظ ولاحظ مسجلة صغيرة بين يديه! رفع بصره وقال:

- إذا كنت تنوي تسجيل المحادثة لا خرير الماء فعلينا أن

نتكلم!

ثم سكت ورشان... شيء ما ليس على ما يرام! نظر ورشان عن كثب فرأى ذلك الثقب الذي لازال يثعب في وسط جبين المحافظ! رصاصة قناص محترف!!! المحافظ جثة هامدة!

تذكر ورشان كلام المحافظ «إنهم في كل مكان» ...

أخذ ورشان المسجلة من بين يدي المحافظ القتيل الباردتين...بدا ذلك قاسياً لوهلة لكن ورشان لم يفعل شيءً سوى القيام من مكانه والتوجه صوب سيارته حاملاً المسجلة معه...

وعلى بعد خمسين متراً من سيارته لمح شخصاً يسير جنب الحائط نحو السيارة! اختبأ ورشان خلف شجرة يراقب... وصل الشخص إلى السيارة وأشهر سلاحه بحذر ثم اكتشف أن السيارة فارغة على ما يبدو... خبأ سلاحه وهو يلتفت يمنة ويسرة ثم غادر...

ورشان مراقب... المحافظ مغتال... ماذا سجل المحافظ لورشان؟

«الموت عند البعض نهاية، لكنه في الحقيقة عنوان الكثير من البدايات»

ابتعد ورشان قدر الإمكان... تفحص المسجلة (IPOD)

أول تسجيل صادفه بعنوان **HXH**... ضغط على زر التشغيل واستمع:

«أيها المحقق... عندما رأيتك حافياً في مركز الشرطة عرفت أنك ماكر، فتلك طريقتهم... قررتُ المخاطرة لأقابلك، لكنك متأخر بدقيقتين وأنا أخشى أنهم تعقبوني... إذا كنتَ تسمع تسجيلي فهذا يعني أنني مقتول وتأخرك أيها الأحمق هو سبب موتي! تباً لك أيها الغبي! على كل حال يجب أن تعرف انهم

منظمة سرية متغلغلة في مفاصل الدولة... رمز المنظمة هو عنوان التسجيل "HXH" وهو اختصار لـ: هيكزا كوزيوا هيكزي كونتا هيكزا

HEXA.KOSIOI.HEXE.KONTA.HEXA

معناها 666 باللاتينية... الرقم الذي يعتبرونه رمزاً للشيطان!

يختطفون مواليد 6 من الشهر 6 من السنة 6*** وينشئونهم على مبادئهم، أحياناً يزوّرون تواريخ ميلادهم، إنهم مبرمجون... أجيال متعاقبة تعمل على التسلل إلى كل شريان في الأنظمة... لستُ أتكلم عن نظرية المؤامرة، بل عن الرعب القادم من الشمال... تأكد أنك مراقب، يجب ألا تثق في أي شخص، ما يقلقني هو اتصالهم للإبلاغ عن اختفاء الأطفال! ذلك الاتصال كان إشارة أو استغاثة تعمدوا إعلانها، عندما تكتشف سبب الاتصال ستكتشف الكثير، أما إذا أردت أن تعيش حياتك فاترك القضية ولا تتزوج! اجمع المال وسافر»

عندما سمع ورشان ذلك قال: أنا فعلاً أجمع المال لكنني لن أسافر ولن أتزوج ثانية...

***

تدبر ورشان شاحنة قطرٍ وطلب إيصال سيارته إلى مركزه حيث ترك محجوب لكنه طلب أن يتم إيصالها في الغد، أما هو فاستقل الباص في ذلك اليوم مرتدياً خفيه المريحين.

وصل ورشان إلى مركزه الصغير لكنه لم يجد محجوب! مع أنه أمره بعدم المغادرة!

كان المكتب مرتباً لكنّ محجوب كالعادة لم يفرغ سلة النفايات... حمل ورشان السلة فلفت نظره ورقة ممزقة... أخذها وجمع الاجزاء... إنها نتيجة تحليل دم آثار الفزاعة الدامية!!! نتيجة التحليل: الدم ليس دم إنسان... إنه دم شاة!!! لكن ماذا تفعل ورقة كهذه في النفايات؟

***

توجه ورشان إلى القرية سيراً على الأقدام... عند وصوله بعد ساعة وجد محجوب أمام المسجد يخاطب رجلاً يبدو عليه الثراء والقرية تعج بالشاحنات!

عندما رأى محجوب المحقق ورشان قادماً قال مباشرة:

- سيدي! أين حذاؤك؟

- سؤال غبي كالعادة! طلبت منك ألا تغادر المركز!

- سيدي ورشان، جئت أتحقق من هذه الشاحنات وسبب قدومها إلى القرية، وهذا مالك الشاحنات معي.

في هذه اللحظة كان ورشان غارقاً في التساؤلات عندما قرأ الرمز الملصق على الشاحنات.... HXH !!!!!!!!!!!!

تحدث ورشان مُطولاً مع رجل الأعمال -HARRY HER NANDEZ مالك الشاحنات. عرف منه أنه يترأس جمعية خيرية وشركة باسم HXH تدعم المشاريع المصغرة والمنتجات المنزلية... استغرب ورشان كيف لعائلات فقدت أولادها منذ أيام أن تستمر بكل هدوء في إدارة اعمالها التجارية؟ وهل تستحق منتجات منزلية هذا العدد من شاحنات النقل؟

اعتذر رجل الأعمال بأدب وغادر تتبعه الشاحنات... لاحظ ورشان من العجلات أن الشاحنات كانت تبدوا فارغة! كأنها أفرغت حمولة عكس ما ادعاه هاري!

عندما خَفَت صوت محركات الشاحنات المبتعدة نطق محجوب:

- سيدي المحقق! إقامتك في العاصمة كانت قصيرة!

سكت ورشان (أنا لم أخبر محجوب بوجهتي! فكيف عرف أنني كنت في العاصمة؟) ثم قال:

لماذا رميت نتيجة تحليل دم الفزاعة الدامية يا محجوب؟

ارتبك محجوب وأجاب:

- لا بد أن في النتيجة خطأ يا سيدي! لقد راسلتهم ليعيدوا التحقق فنحن لا نبحث عن دم حيوان...

- حسناً... كيف عرفت أنني كنت في العاصمة؟

أجاب ورشان مبتسماً:

- بذكائي سيدي! لا بد أنك ذهبت لرؤية طليقتك...

لم يكمل محجوب جملته إلا على وقع لكمة من ورشان تحمل غضب سنين وكأن محجوب طرق باب الجحيم بكلماته!

سقط محجوب أرضاً يمسح الدم المتقاطر من فمه... أما ورشان فاتجه صوب المقبرة يمشي بلا وعي يتذكر أياماً يتمنى نسيانها... يتذكر مأساة حطمت قلبه.

***

سار ورشان حتى اقترب من المقبرة فشاهد المجنون بوبريطة يسير بين القبور يحمل بين يديه خبزاً ثم دخل إلى الوالية... لم يفكر ورشان كثيراً بل تبعه صوب ذلك الكوخ المتهاوي يريد التحدث مع المجنون لعله أعقل من محجوب.

دخل ورشان الوالية فرأى ما لم يكن يتوقعه... لم يجد المجنون وحده! بل وجد معه شاباً في ملابس قذرة يجلس على الأرض يلتهم قطعة خبز بنهم! قطعة الخبز التي جاءه بها المجنون!

إنه الفزاعة الدامية... كان هنالك طول الوقت!

أخرج ورشان مسدسه وشهره في وجه الشاب الذي تجمد وقطعة الخبز في فمه!

قال ورشان: أكمل طعامك فلي معك حديث طويل.

تكلم المجنون فقال:

- ليس منهم فهم لا يستطيعون دخول المقبرة، ليس منهم لكنه يعرفهم.

أنزل ورشان مسدسه وجلس ينظر إلى عيني الشاب الخائفتين... هل هذا وجه فزاعة؟ لا... تبدو عليه ملامح الطيبة... أكمل الشاب قطعة الخبز... نظر إلى المحقق ورشان... وقبل أن يسأله ورشان بدأ في سرد قصة غريبة لا تسمعها إلا في قصص الخيال...

«الحب ليس كغيره من المشاعر... فهو في قسوته حنون، وفي صخبه سكون... وبين كل حبيبين رغم السعادة شجون».

لوزة...

كانت طالبة حقوق متفوقة، طموحها يفوق جمالها، ابتسامتها كانت لصيقة بوجهها كأنها ولدت مبتسمة... كثيراً ما تسببت لها ابتسامتها بالطرد من المحاضرات ظناً من الأستاذ أنها تبتسم استهزاءً به!

وقع ورشان المتدرب آنذاك في سلك الشرطة في غرام الوجه الباسم الذي كان يراه كل يوم عندما تعبر طريق الكلية... أحبها قبل ان يسمع صوتها أو يعرف اسمها... أحبها وأحب مهنة

التحقيق لأنها كانت أول قضاياه، كان يتحرى عنها... عن كل كبيرة وصغيرة في حياتها... عرفها قبل أن يتعرف بها... كان اسمها لوزة... عندما فاتحها بالحديث أول مرة أعطته درساً في الحقوق المدنية واحترام الحريات الشخصية... لكن ذلك جعله تلميذاً في مدرسة قلبها وتعاقبت الأحداث حتى امتلك الشجاعة وطلب يدها للزواج...

قبلت به لأنه كان يشبهها في الطموح... لأنه لا يملُّ من أحاديثها التي تقتصر في غالبها على الحقوق والقانون... لأنه يحبها... وأحبته.

بعد سنة من الزواج رُزقا بطفل أسمياه وحيد... أصبح محور حياتهما... ومؤقت أعمالهما... كانت حياتهما تدور حول ذاك الوحيد.

عندما بلغ وحيد سن الرابعة كان ورشان لا يزال ضابطاً في سلك الشرطة... يحب أن يلعب مع وحيد لعبة المجرم والشرطي... يختبئ وحيد بينما يغمض ورشان عينيه... ثم يدعي أنه لا يرى قدميه تحت ستار النافذة أو تحت السرير... يدعي أنه يبحث عنه خارجاً ثم يعود ليسحبه من تحت السرير وهو يقهقه

ضاحكاً...

قبل أن تعود لوزة من العمل... أخرج ورشان القمامة وعاد بسرعة ليلعب مع وحيد... أغمض عينيه... بينما ذهب وحيد ليختبئ... عندما أخرج ورشان القمامة وعاد مسرعاً كان قد ترك باب المنزل مفتوحاً... خرج وحيد واختبأ بين شجيرات الحديقة الأمامية... وكالعادة فتح ورشان عينيه وتظاهر بالبحث خارجاً... لاحظ أنه ترك الباب مفتوحاً فأغلقه ودخل يبحث تحت السرير وخلف الستائر... خلف الكنبة وفي المطبخ... صعد الدرج وبحث في الغرف والحمام... عجز الشرطي الشاب عن العثور على وحيده!!! أسرع خارج البيت بحث في الحديقة ورمى بصره إلى حديقة الجار وآفاق الأزقة... لم تسر اللعبة كما ينبغي ولم يسمع قهقهاته يومها... فقد ورشان ابنه وحيد!

عادت لوزة إلى البيت فوجدت عناصر الشرطة... زملاء زوجها... لكن ما شد بصرها بين كل ذلك الهرج تلك الدمعة الصغيرة في عين ورشان...

أين ابني؟

السؤال الذي فتح باب الحزن وأغلق كتاب الحب ورسم خطاً من الأسى انتهى بالطلاق...

ورشان اليوم محقق مغمور... ولوزة قاضية في العاصمة... ووحيد ذكراهما الوحيدة وفقيدهما الذي شق سفينة حبهما.

«نلتفت إلى الماضي خلفنا... فنمر بقربه لا نراه إذا وقف على رصيف المستقبل»

في الوالية أين اجتمع ورشان، بندين والمجنون...

نطق الشاب الفزاعة الدامية:

اسمي -2 H 970912 (عندما سمع ورشان هذا الرقم ارتجفت أوصاله واكتسحت الدهشة ملامح وجهه.)

أول ما أذكره من طفولتي هو طوابير الأطفال الهجينين، نحن الهجينون الذين تبدأ اسماؤنا بـ H. أما الأطفال الذين تبدأ أسماؤهم بـ 666 فيسمونهم المختارين، لا يمرون في الطوابير، معاملتهم خاصة، كنا نحن الهجينين أدنى درجة منهم... مئات

الاطفال موزعون حسب السن، كل شيء هنالك يسير وفق برنامج صارم، نستفيق، نتدرب على فنون القتال، نأكل، ندرس فنون الحرب، نتعارك، نتلقى الضرب المبرح، ثم نغتسل وننام... وهكذا كل يوم... كنا نتعلم منهم أن خارج المؤسسة عالماً يعج بالأشرار مع أننا لم نكن نعرف معنى الشر! إلا عندما يجعلوننا نتعارك فيقولون: (الضعيف هو الشرير... القوي يجب أن يتبع الشعلة ويحرق الضعفاء) عشنا كذلك لسنوات...

رأيت الشمس أول مرة عندما بلغ طولي متراً وخمسين سنتمتراً... كان ذلك مخيفاً! مصباح متوهج في سقف أزرق!

وزعونا ونقلونا إلى مناطق مختلفة... كل واحد منا يعيش مع زوج نناديهما الأب والأم... ونتلقى تعليماً في قسم واحد على يد من نسميه المعلم... يعلمنا كل شيء عن العالم، عن العلاقات الإنسانية... عن البشر، عن المشاعر، عن الأديان، عن فنون الخداع والتجسس، عن كيفية الاندماج في عالم الأشرار...

حسب تقييم المعلم بعد سنوات من التكوين كنت مؤهلاً لوظيفة رجل دين... أعطوني هوية باسم بندين وأرسلوني لأتربص في هذه القرية... كنت تحت وصاية من يدعونه الإمام، مع أني

لم أره يوماً يصلي! إنه مشعوذ يقوم بطقوس غريبة!

كنت مبرمجاً على تنفيذ الأوامر لكنني لطالما شعرت بأن هنالك خللاً ما... أشعر بأن هنالك حياة أخرى سلبت مني... أتساءل دوماً هل حياة الأشرار (الناس العاديون) بذلك السوء؟ الأب والأم الذين حظيت بهما لم يختلفا عن المعلم أو عن عمال المؤسسة! لابد أنني شخص آخر لكنني لا أعرف نفسي.

بعدما قرر الإمام انني جاهز للتعميد استدعى المعلم... لم أكن أعي ما يحصل... ذهبنا إلى المسجد المزيف حيث كان الظلام يكاد يخنق نور الشموع الموزعة على شكل نجمة كبيرة في الأرض... أجلسوني وسط دائرة ورموز سحرية وكتابات غريبة مرسومة بالدم... دم تيس أسود عظيم معلق في السقف فوقي تماماً وقد أحدثوا ثقباً صغيراً في رقبته وهو حي وينزف ببطء... الإمام المشعوذ يقرأ تعويذات غريبة... والدم يقطر فوق رأسي وينزل عن جبيني بين عيني الى فمي ومن خلال شعري إلى رقبتي! شعرت بأنني أغرق في الدم... كان المكان نتناً! استمر الإمام في قراءة التعويذات بينما دخل المعلم الدائرة يحمل السكين التي خزق بها التيس، في يسراه... وصورة في يمناه...

قال لي:

*(أنت الآن جاهز لملاقاة نور الشعلة... ستخرج من قرية الدعاوي ولن تعود، لكنك ستقدم هدية جليلة لنورنا "لوسيفر" بقتل هذه الشريرة... ستحصل على التعليمات لاحقاً) أمسكت الصورة بيدي اليمنى ونظرت الى وجه الشريرة... بدت لي طيبة!

طلب مني أن أمد يدي اليسرى ليخط بالسكين جرح العهد في راحة كفي وتختلط دمائي بدماء القربان... تدافعت الأفكار في رأسي... علق وجه المرأة في ذهني... شعرت أن شخصي الآخر الطيب يريد أن يهرب... مددت يدي ببطء... ثم لا أدري ماذا دهاني! خطفت السكين من يد المعلم وغرزته في رقبته! أصابني الرعب لما رأيته يتخبط وسط بركة دماء التيس ودماؤه الأفتح لوناً ترسم برزخاً بين الأحمر القاني والأحمر الغامق! ذهل الإمام المشعوذ وأخذ يصيح: (ماذا فعلت أيها المرتد!)

خرجت من المسجد أجري حافياً وأصواتٌ كأجراس الشياطين تدق رأسي وأنا أصرخ... لست قاتلاً.

اختبأت هنا وهذا المجنون يعيلني منذ ذلك اليوم.

***

صمت ورشان طويلاً وأخذ يفكر ويربط الأرقام بالأحداث... أطفال تبدأ أرقامهم بـ 666 لابد أنهم مواليد اليوم 6 الشهر 6 من السنة 6***... أطفال تبدأ أرقامهم بـ H هجين -HY BRIDE أو HÉTÉROGÈNE ؟ لكن الرقم -2 970912 يعني لي شيءً!

في يوم 12/09/1997 اختفى ابني وحيد!!!..... هل يُعقل أن يكون....

«الجمال... ما أجمل اللون الأحمر في الورد... في الخدود... أما دم العروق فهو الجمال إذا نزفه الجسد أخذ معه الحياة»

"سيناريو ليلة الدم"

رسم المحقق ورشان سيناريو ليلة الفزاعة الدامية في ذهنه كالتالي...

بندين قتل المعلم وهرب إلى المقبرة... مسح الإمام آثار الدم الخارجة من المسجد، وطبعاً لم يكن بإمكانه تتبع الآثار لمئات الأمتار، إذ كان لابد له من العودة لإخفاء جثة المعلم ومسح آثار الطقوس... بل ربما كان يريد أن يتم القبض على بندين الذي خانهم فترك لنا آثار الدم!

وعلى ما أظن تم نقل الأطفال في نفس الليلة إثر مقتل المعلم...

أخبرني المحافظ أني سأعرف الكثير إذا عرفت سبب الاتصال...

منذ سنوات طويلة تعمدت السلطات وضع هاتف عمومي واحد في قرية الدعاوي لتسهُل مراقبة اتصالاتهم مع الخارج، كان ذلك قبل أن يتغلغلوا في مفاصل الدولة... طبعاً الإمام على علم بذلك...

أعتقد أن الإمام أجرى اتصالين أو أكثر... أجرى الاتصال الأول في الليل ليتم نقل الأطفال... ثم أخذ وقته إلى الصباح بحجة الإبلاغ عن اختفائهم... واكتفى بالاتصال بمركزنا الصغير حيث رد عليه... رد عليه محجوب! كان الاتصال موجهاً لمحجوب!!! محجوب أمره مريب!

محجوب عرف أني كنت في العاصمة دون أن أخبره!

عرف بأمر طليقتي دون أن أخبره!

تلقى تحليل الدم ولكنه مزقه ورماه!

محجوب يعرف عني الكثير وكان يقتفي أثري لكن كيف؟

ليلة مقتل المحافظ حاول شخص ما قتلي ظناً منه أنني في السيارة! لو كان ذلك القاتل يتبعني أنا فما الذي جعله يظن أنني في سيارتي ولست في المطعم؟ الأكيد أنني لم أكن أحمل جهاز تعقب... شككت في أن السيارة مزودة بجهاز تعقب فطلبت قطرها لتصل غداً... عندما رآني محجوب تفاجأ وسألني "أين حذاؤك؟" لماذا هذا السؤال؟ حذائي! تركته في صندوق السيارة ليلة مقتل المحافظ... إنه الحذاء الذي أحضره لي محجوب بعد أن تعمد إحراق حذائي... الحذاء مزود بجهاز تعقب! لهذا قال المحافظ أنه وافق على مقابلتي عندما رآني حافياً وقال إنك ماكر...

يا إلهي! محجوب واحدٌ منهم!!! إنهم حقاً في كل مكان...

***

سأل ورشان الشاب بندين إذا ما كان يعرف الشرطي محجوب فأجاب بأنه لا يعرف غير من كانوا معه في نفس المجموعة وهو يعرفهم بأرقامهم والميدان الذي تم توجيههم إليه لكنه لا يعرف

هوياتهم المزيفة...

تذكر ورشان امرأ...

- قل لي يا بندين، أما زلت تحمل صورة المرأة التي أمروك بقتلها؟

أخرج بندين من جيبه الصورة الملطخة بالدم... مسح ورشان الدم بحذر لتتوضح ملامح المرأة... مع أن الصورة لم تكن واضحة إلا أن ورشان لم يكن لينسى أبداً الوجه الباسم لطليقته القاضية لوزة...

«في مكان ما على وجه الأرض...»

شاشة كبيرة، عُرضت عليها صورة امرأة مبتسمة سمراء ذات عينين سوداوين وقصة شعر تحت الأذنين بتسريحة بسيطة...

طاولة مستديرة... عشرة كراسي وتسعة رجال ببدلات سوداء وربطات عنق حمراء ومشبك على الصدر يحمل رمز **HЖH**...

أمام كل واحد منهم لافتة تحمل رقماً... من 1 إلى 9...

الكرسي العاشر الفارغ يتوسط الجلسة وأمامه رقم 11.

إنه اجتماع 911 السري.

***

1: اختيار المجند -2 H 970912 كان مدروساً... لكن مقتل أحد المعلمين على يديه وفراره يعتبر فشلاً ذريعاً.

2: منذ سنوات طويلة وهذه القاضية تدرس ملفات الأطفال المفقودين... لقد وصلت إلى معلومات تهدد فرعنا هنالك... لكنها اختفت بمجرد ربطها الاتصال معنا.

3: اقتصر طلبها على استعادة ابنها وإلا فضحت أعضاءنا المندسين في مختلف مؤسسات الدولة بالأدلة... لقد عمِلت لسنوات دون أن نلاحظها حتى أصبحت مصدر تهديد.

4: كانت الخطة تقتضي بأن تعثر هي بنفسها على المجند -2 -H 970912 وتكشف لابنها عن مكانها ثم نحدد نحن ظروف الاغتيال.

(تظهر صورة ورشان على الشاشة)

5: طليقها المحقق تحت المراقبة لكنه لم يتصل بها حسب عميلنا منذ بداية العملية... لا شيء غير عادي في تحركاته سوى زيارته للبنك كل شهر.

6: علينا أن نكتشف مكانها بطريقة أو بأخرى لأن ذلك المحقق قد يسبب لنا المتاعب مع قرب موعد انطلاق خطة الفوضى.

7: نفذ HARRY مهمته بنجاح لكن المحقق أفلت من المراقبة بطريقة ما وشاهد الشاحنات، لحسن الحظ وصل متأخراً فلم يشهد الإنزال.

8: العملية ستتم في الموعد المحدد... إذا اضطررنا لقتل المحقق فلا بد أن يحدث ذلك في خضم الفوضى.

9: لنأمل أن يقودنا إلى القاضية قبل أن نتخلص منه.

نظروا جميعاً إلى الكرسي العاشر ذي الرقم 11 وقالوا بصوت واحد:

HEXA.KOSIOI.HEXE.KONTA.HEXA

هيكزا كوزيوا هيكزي كونتا هيكزا (666)

***

تكلم ورشان مع بندين طويلاً وتمنى كلاهما أن تدوم جلستهما للأبد، بندين شعر بما لم يشعر به من قبل "الاهتمام" أما ورشان فحظي بما حرم منه "حوارٌ مع ابن مشوش"...

(ماذا لو كان هذا الشاب ابني وحيد؟ إنهما بنفس السن على ما أظن؟ هل حقاً يشعر الأب بابنه رغم عدم معرفته؟ هذا الوجه المتسخ لا يشبهني كثيراً فهل يشبه أمه؟ أعتقد أن مشاعر الأم أقوى... ربما إذا رأته فستشعر بأنه ابننا.... حتى وإن لم يكن ذلك هو الحال فلا بد من اطلاعها على ما يحصل)

قطع المجنون بوبريطة حبل أفكار ورشان بقوله:

(جابو الڤيرّة ودعوة الشر، دعا عليهم الوالد وأنا حملت المنكر، راني نشوف بعينيا ونهدر، طير يا الورشان وفرفر)

ضحك ورشان... كيف لم يدرك من قبل أن هذا الشيخ المجنون هو ابن الرجل الصالح الذي دعا على هذه القرية...

تخلى ورشان عن فكرة كون بوبريطة مجنوناً وخاطبه هو وبندين خطاب العقلاء وشرح لهما ما سيفعل إذا ساعداه....

***

دخل ورشان متأخراً إلى المركز أين وجد محجوب يضع كيس ثلج على شفته المتورمة... ضحك ورشان واعتذر منه معللاً ردة فعله تلك بسبب الألم الذي سببه نبش الماضي... قَبِل محجوب اعتذاره وطلب العفو عما نطق به.

نام محجوب لكن. ورشان قضى الليل ساهراً يفكر في الغد... يده على مسدسه فهو على بعد خطوات من الثعبان النائم معه... ولم يُخلف الصباح موعده إذ طلعت شمس يوم جديد...

***

وصلت شاحنة القطر ومعها سيارة ورشان.... اتجه ورشان مباشرة إلى صندوق السيارة وأخرج حذاءه قائلاً:

- لقد كان أمراً محرجاً... محقق يرتدي خفين ويقابل رجل أعمال! وأنت يا محجوب أحرجتني أكثر بملاحظتك أمامه!

- آسف سيدي... لساني أسرع من عقلي كما تعرف.

لبس ورشان الحذاء الضيق على مضض وهو يكتم غيضه.

أمر محجوب بالصعود إلى القرية للتحقق مما إذا عاد المعلم من عطلته وهل من جديد عن المسمى بندين... تحجج محجوب ببعد المسافة لكن ورشان أعطاه مفاتيح السيارة قائلاً: سُق بحذر! لا أريدها أن تتعطل ثانية.

انطلق محجوب إلى القرية... طلب ورشان من سائق الشاحنة أن ينتظره لدقائق وانطلق سائراً...

في طريقه إلى القرية، أخرج محجوب جهاز تعقب وشاهد تلك النقطة الحمراء على الخريطة تتجه نحو الغابة... إلى أين تذهب يا ورشان؟

«لا تموت الذكريات الأليمة إذا دُفِنت... فإذا نُبِش قبرها برزت ونفضت غبار الألم»

وصل محجوب إلى القرية... ركن السيارة أمام بيت الإمام الزائف، نزل من السيارة وعيناه على شاشة جهاز التعقب... خرج الإمام بمجرد سماعه صوت المحرك الصاخب.

- ما الأمر محجوب؟ تبدو متوتراً؟

- تحركات ورشان تقلقني... إنه يجول في الغابة كأنه يمشطها!

تغير وجه الإمام إلى رخام شاحب ندي بالعرق! سأله محجوب ناهراً وهو يمسك بصدره ويرجه:

- ما الأمر! ماذا يخيفك ولا أعلم عنه؟

- الـ... الجـ... الجثة! جثة المعلم! إنها مدفونة في الغابة على طرف القرية!

- سحقاً! لماذا لم ترسل الجثة مع الأطفال ليلة الفزاعة الدامية؟!

- لقد رفضوا نقل الجثة مع الأطفال المختارين! كما تحججوا بأن الأوامر تقتصر على نقل الأطفال فقط! وأنا تكبدت عناء حمل الجثة والرفش إلى أبعد ما استطعت ليلتها... زد على ذلك الحفر والردم قبل طلوع الشمس! هل كان باستطاعتي فعل أكثر من ذلك؟

- لا وقت للجدال الآن... أنا لا يمكنني اللحاق به وإلا اكتشف بأنني اتعقبه! أما أنت فبلى، اذهب إلى الغابة فإذا صادفته فادَّعِ أنك تبحث عن الخلوة مع الله... نافق كما اعتدت أن تفعل. وشتت انتباهه بفتح موضوع بندين، فهو مازال يبحث عنه!

- حسناً سأذهب، لكن يا محجوب... عليك أن تبقى في

القرية بدلاً عني!

***

(سأعود بكم إلى ما بعد طلاق ورشان ولوزة... هل مات الحب؟)

منذ ولادة وحيد... فتح ورشان ولوزة حساب ادخارٍ باسمه في البنك، لوزة تودع فيه مبلغاً في العاشر من كل شهر، وورشان يودع مبلغاً في الرابع عشر من الشهر.

اختفى وحيد... تطلق الزوجان... لكن حساب وحيد في البنك لا يزال يستقبل ايداعين في كل شهر منذ سنوات... ورشان ولوزة كقرني غزال يجمعهما رأس جميل واحد لكنهما لا يلتقيان...

***

اليوم العاشر من الشهر... دلفت من باب البنك سيدة ربعة الطول تختمر الأسود يغطي جبهتها... تلبس نظارات سوداء كبيرة تخفي وجنتيها... و ياقة معطفها العريضة تخفي ما بقي

من وجهها، إنها القاضية لوزة... مرت على ثلاث شبابيك وصولاً إلى الشباك الرابع أين جلست عجوز شقراء ذات وجهٍ أكثم ذي تجاعيد وفم صغير بالكاد رسم ابتسامة لصديقة قديمة... خلعت لوزة نظاراتها وتبادلت مع الموظفة الحديث المعتاد... أودعت لوزة مبلغاً في حساب وحيد وهمت بالرحيل لكن الموظفة أشارت لها بيدها أن انتظري! ثم همست لها قائلة:

- السيد لم ينتظر الرابع عشر من الشهر...

توسعت عينا لوزة وشخصت قبالة الموظفة فأشارت لها بإصبعها إلى هنالك... التفتت لوزة... كم مضى من سنين منذ لم تقابل ذلك الشخص! ما هذا الشعور الغريب! بعد كل هذه السنوات! ورشان يقابل لوزة حب حياته...

الإمام في الغابة منذ الصباح يجلس مترقباً على بعد أمتار من الجثة... محجوب منذ ساعات يتتبع النقطة الحمراء على جهاز التعقب... ورشان في العاصمة!!!

«لا تقتل... فالكل في النهاية ميتون»

ورشان رجل فارع الطول ليس بالنحيل ولا بالسمين (لكنه يحب أن يبدو عظيم الجثة فيرتدي المعاطف الطويلة الواسعة) ... وجهه حاد القسمات جاد الملامح، ذقنه مستدق ولحيته غير مهذبة... عيناه بنيتان ونظرته حادة... يحافظ على نفس قصة الشعر القصيرة، ومع تقدمه في السن تخلل الشيب شعره الأسود فأعطاه لونا فضيا زاده هيبة وجدية، لكن إذا ابتسم تحولت عيناه إلى هلالين عسليين فتنقلب ملامحه الجادة إلى بشاشة جذابة ويشع وجهه بالحنان... ابتسم ورشان لحظة رؤية لوزة له... ابتسم لها كما لم يفعل منذ فقدا ابنهما... ابتسم وتهلل وجهه سرورا برؤية من عاقب نفسه بحرمان عينيه من رؤيتها منذ تطلقا.

كان هنالك يقف كمن يتأمل وردة من خلف سياج... كأنه يطلب منها الإذن ليخاطبها...

أما لوزة فقالت في نفسها: (ما الذي أخرك كل هذه السنوات؟)

كان من الطبيعي أن تسير هي نحوه لأنه يقف عند أريكة الانتظار، كما كان طبيعيا أن يظل هو واقفا حتى تجلس هي فترتاح من تعب الخطوات التي قطعتها لتصل إليه... جلست لوزة، ثم جلس ورشان... صمتا لدقائق...

لوزة دون أن ترفع بصرها قالت:

- كنت أنتظر العاشر من كل شهر لأسأل "هل أتى كعادته؟" لكنك لم تسأل يوما مع أنك تعلم أنني كنت هنا دائماً قبلك بأربعة أيام.

فأجاب ورشان جواب الواثق من نفسه:

- لم أسأل لأن عبق عطركِ المفضل كان ينتظرني في ذلك الشباك نفسه كل مرة... فأعرف بقدومك دون أن أسأل...

رفعت لوزة رأسها ونظرت إليه نظرة استغراب وقالت:

- ذلك لأن موظفة البنك تضع نفس العطر أيها المخبول... لازلت مخبولا كما عهدتك.

صمت ورشان وأدرك أنه بدا غبيا لسنوات... ثم تذكر أنها الوحيدة التي تنعته بالمخبول... ضحكا ملء قلبيهما...

دون مقدمات أخبر ورشان لوزة بكل ما يعرفه عن مخطط اغتيالها وعن اختطاف الأطفال وقرية الدعاوي (لكنه لم يخبرها عن شكوكه بأن من كلفوه بقتلها في البدء قد يكون ابنهما أو قد يعرفه على الأقل) ... فأعلمته بأنها تورطت في القضية بحثا عن وحيد وبأنها قد تجده قريبا... أخبرته بما تعرفه عن العملاء المندسين وبمساومتها للمنظمة وتَخَفِّيها عن الأنظار منذ ذلك الوقت وبأنها لا تستطيع التراجع ولو كلفها ذلك حياتها... أعطته رقم صندوق ودائع وضعت فيه الملفات... ثم قالت له:

- سأجد وحيد... ولعل ماضينا الذي تركناه، سيتجلى أمامنا ليستقبلنا...

فقال ورشان:

- بعد أن ينتهي كل هذا... هل ستقبلين بي زوجا من

جديد؟

ابتسمت لوزة وقامت من مكانها مودعة ورشان بإشارة من يدها... وضعت نظاراتها وقامت من مكانها فاستوقفها ورشان قائلاً:

- هنالك شخص ينتظرني في الخارج أريدك أن تقابليه...

توترت لوزة قليلا لكن ثقتها في ورشان لم تتزعزع رغم الفراق الطويل... خرجا معاً، قادها ورشان الى الساحة العمومية القريبة... وقف وجعل يلتفت يميناً وشمالاً... (أين اختفى بندين؟ لقد تركته هنا؟)

***

سئم الإمام من الجلوس في الغابة أو بالأحرى تملكه الخوف فعاد أدراجه... وجد محجوب منكباً على مراقبة جهاز التعقب كما تركه...

قال محجوب:

- هل التقيته؟ أين ورشان؟

- لم ألتقه لكنني شعرت بالخوف فعدت...

- ولم الخوف أيها العجوز الشرير القاتل؟ هل ظننت أن المعلم سيخرج من قبره ليعاقبك على فعلتك؟

- لا... لكنني شعرت بنفس الخوف الذي كان يصيبني عندما أقابل العميل -979 666... أنا لم أفعل شيء سوى اتباع أوامره حرفياً تماماً كما تفعل أنت.

***

- رقم 1 يتحدث من معي؟

- أنا المجند -979 666 لقد حددت الهدف وأنتظر الأوامر

- هههههه تباً لك... لقد غافلت الجميع حتى ظننا أنك خنتنا... أنتم العملاء 666 حقاً خارقوا الذكاء. قم بتصفية القاضية فوراً.

بندين في قمرة هاتف عمومي...

- عُلم...جاري تنفيذ العملية.

أقفل الخط... وخرج متجهاً صوب ورشان ولوزة.

«قد يقف القصب في وجه الريح حين تنكسر أعجاز النخل»

في قاعة اجتماعات نصف مضاءة... اجتمع التسعة القادة في **HЖH** ... يرفع رقم 1 السماعة...

- أصدروا الأمر ببدء مخطط الفوضى حالاً.

في القرية...

وقف الإمام ومحجوب. محجوب لا يعلم أن ورشان وبندين استقلا شاحنة القطر الى العاصمة.

الإمام يتذكرليلة مقتل المعلم...

صرع بندين المعلم أرضاً أثناء طقوس التعميد... ثم أعطى السكين للإمام وأمره بالإجهاز عليه... فعل الإمام ذلك مجبراً تحت التهديد فتورط مع بندين بجرم الخيانة وأصبح عليه التزام الصمت وإلا قضي عليه... ظل بندين مصدر رعب الإمام منذ يوم استقدامه إلى المسجد ليتجهز لمهمته... كان كثير الانكباب على الوثائق والملفات يدرسها ويدون ملاحظاته في غرفة منع الإمام من ولوجها... كان بندين يعرف كل شيء عن لوزة وورشان.

***

تلقى محجوب اتصالاً:

- لديك أمر بتصفية المحقق... مخطط الفوضى سيبدأ.

أعلم محجوب الإمام بانطلاق مخطط الفوضى... يدخل الإمام إلى بيته مسرعاً... ويختبئ في غرفة بندين الممنوع عنه دخولها من قبل... أذهله الكم الهائل من الصور والملفات والجرائد القديمة... صورة ورشان والقاضية على الجدار...

يتوجه محجوب ركضاً صوب الغابة يقصد موقع جهاز التعقب المثبت في حذاء ورشان...

من بيوت القرية الثلاثين يخرج عدد كبير من الرجال... رجال ذووا أجساد عظيمة يرتدون بدلات عسكرية سوداء... مدججون بالأسلحة والعتاد... يحملون رايات كتب عليها "جيش الحرية"... هؤلاء كانوا حمولة الشاحنات التي أنزلها HARRY بالأمس.

في الغابة...

يسير المجنون بوبريطة ويجول مرتدياً حذاءً جديداً... إنه حذاء ورشان الضيق! إنه النقطة الحمراء التي يتبعها محجوب.

في العاصمة قرب البنك...

في زقاق ضيق خلف حاوية نفايات يرقد شرطي قتيل في ثيابه الداخلية. سلبه أحدهم زيه وسلاحه.

في الساحة العمومية...

شرطي يسير بخطى سريعة مسبلاً ذراعيه، يتوجه صوب ورشان ولوزة.

ورشان يلتفت بحثاً عن بندين، لم يلحظ ذلك الكيان الأزرق

يتقدم نحوهما من بعيد...

فجأة طرقت فكرة مرعبة عقل ورشان! أين بندين؟ ماذا لو كان كاذباً؟ ما الذي جعلني أصدق كلامه دون لحظة شك؟ ... ارتعدت أوصال ورشان! مرت كل الأحداث السابقة في ذهنه في طرفة عين... هل كنت لعبة في يد بندين؟ هل كان لقاؤنا جزءً من مخططه للعثور على لوزة؟ هل كنت غبياً إلى هذه الدرجة؟ هل جئت بقاتل وسلمته أم ولدي على طبق من ذهب؟ ... سحقاً...

لوزة تقف على يسار ورشان غير مدركة للوضع... مدَّ ورشان ذراعه الأيسر في حركة جذبها بها خلف ظهره، ويده اليمنى عند خصره الأيسر، على غمد مسدسه يستعد لإشهاره... شعرت لوزة بارتباك ورشان حين خبأها خلف ظهره فتشبثت بثيابه بقوة.

أين بندين بين هذه الحشود... بين مئات الوجوه! هل يراقب من بعيد؟

عندما التقت عينا ورشان بعيني بندين الذي ظهر فجأة من العدم كان بينهما خمس خطوات فقط...

صرخ ورشان: لا تفعل يا بندين!

لم يزح بندين بصره عن ورشان... لم تطرف عينه... لم يزل يسير مسرعاً حين رفع ذراعه هاجماً على ورشان...

أمسك ورشان مسدسه ونبضات قلبه تتسارع...

سُمعت طلقتان... تفرق الحمام في سماء الساحة... جفل الناس وعلا الصراخ وهرعوا مبتعدين لا يعرفون ما الذي يحصل... وفي مركز النقطة التي يتفرق حولها الناس ارتسمت بركة حمراء من دمهما.

***

ركض محجوب خلال الغابة يقترب شيءً فشيءً من النقطة الحمراء... وصل، شهر سلاحه واقترب ببطء وإصبعه على الزناد... إنها مغارة صغيرة تصدر منها همهمات يتردد صداها... (جاو ولاد الذيب... جاو ولاد الذيب) ألقى محجوب نظرة فرأى بوبريطة المجنون يرتدي حذاء ورشان! ... ابتسم... ثم انفجر ضاحكاً بطريقة هستيرية...

- تباً لك يا ورشان! تباً لك أيها المجنون بوبريطة! تباً لكما! سأقتلك أيها المجنون ثم أبحث عن ورشان...

ما كاد محجوب يكمل جملته حتى اخترقت صدره ثلاث رصاصات قاتلة... إنها ميليشيا "جيش الحرية" المبعوثة لبث الرعب في العاصمة... لا يفرقون بين عدو وصديق... بين كبير وصغير... بين رجل وامرأة... آلات قتل داست على جثة محجوب وواصلت السير عبر الغابة نحو العاصمة...

أما في بيت الإمام المختبئ في غرفة بندين فقد دخل جنديان عليه الغرفة وأرديا قتيلاً... مات وهو يحمل في يده ورقة من أوراق بندين كتب عليها "وجدتهما"

في الإعلام...

مذبحة في قرية الدعاوي راح ضحيتها ثلاثون عائلة إضافة إلى شرطي وإمام، والناجي الوحيد شيخ في حالة نفسية متدهورة... تفجيرات أمام عدة سفارات أجنبية... أنباء عن اغتيال وزير الدفاع... اغتيالات تطال مسؤولين في الدولة... أنباء عن انشقاق في صفوف الجيش... هروب مسؤولين من البلد

واختلاسات بالجملة... قلق شعبي كبير ومعلومات متضاربة... مقتل عناصر من الشرطة على يد مسلحين في مدن مختلفة... مذابح في القرى والأرياف... ثورة شعبية مسلحة يتبناها من يسمون أنفسهم جيش الحرية...

نهر الدم تفجر...

«أسوء الجرائم التي يرتكبها البشر... هي قتل الأمل»

- هل هنالك أمل في النجاة؟

- أرجو ذلك...

***

غرقت البلاد في الفوضى... تم الإعلان عن موت الرئيس إثر مرض عضال ألم به.

"الرئيس كان يقود الدولة بمرض عضال؟؟؟ بدا ذلك غريباً"

تسلم الجيش مقاليد الحكم... أعلنت حالة الطوارئ.

تسلم ضابط نزيه في الجيش من مصدر موثوق ملفاً بلائحةٍ تدين عناصر من منظمة سرية يشغلون مناصب متنوعة في مختلف أجهزة الدولة... منظمة لها علاقة بالميليشيا التي تسمي نفسها جيش الحرية... شن الجيش حملات اعتقال واسعة... من بين الأشخاص الذين حملت اللائحة أوصافهم وأساميهم عميل سقط في ساحة عمومية في العاصمة إثر عملية إطلاق نار، وهو مشتبه به في قتل شرطي... كان هنالك شخص آخر. سقط في الحادثة اثنان أحدهما قتيل والآخر جريح في حالة حرجة.

يوم إطلاق النار في الساحة العمومية...

هجم بندين على ورشان... تأخر ورشان في إشهار سلاحه... صاحت لوزة:

- خلفك يا ورشان!

التفت ورشان ثم مادت به الأرض فوقع هو ولوزة أرضاً...

سقط قبالته شرطي قد تفجر رأسه وتناثرت قطع من دماغه على الأرض... إنه الخطر الذي صرخت لوزة محذرة منه... كان صياح الناس عالياً لكن ورشان لم يسمع غير طنين أصابه بالصمم بسبب عيار ناري أنطلق قرب رأسه... لوزة حية... ورشان حي... التفت ورشان إلى بندين، كان بندين واقفاً يحمل مسدس ورشان الذي اقتلعه من يده حين هجم عليه! بندين لم يكن يهجم على

ورشان بل كانت نيته إنقاذه من القاتل في زي الشرطي خلفه...

ابتسم بندين... فتحولت عيناه إلى هلالين عسليين وامتلأ وجهه بالحنان! نفس ابتسامة ورشان!

رفعت لوزة نظرها وقالت:

- بني! أنت تنزف!

نظر بندين إلى بطنه النازف وقال:

- آسف أيها المحقق لأني حشوت رأسك ببعض الأكاذيب... لمحت لك ببعض الأرقام لألفت انتباهك... لكن جل ما قلته كان حقيقة... صدقتك القول حين قلت أنني أبحث عن نفسي... كنت أحلم بشخص يجدني خلف ستار النافذة... يستلني من تحت السرير...كنت أعرف أنني شخص آخر... كنت أسمع صوتاً حنوناً يناديني "وحيد"... كنت وحيداً لكنني أنا من وجدك هذه المرة أيها المحقق... أنا من وجدكما خلف ستار النافذة... أبي... أمي... أبلغتهم أنني سأنفذ العملية لذا يمكنكما الآن الرحيل والاختفاء قبل أن يكتشفوا أنني خنتهم... أبي.... أمي.... سعيد لأنني وجدتكما...

ثم سقط أرضاً وهرعت لوزة تصرخ بلا وعي: "وحيد"

في المستشفى...

- هل هنالك أمل في النجاة؟

- أرجو ذلك... لقد سألتني نفس السؤال مائة مرة ولا زلت أكرر الجواب نفسه يا لوزة!

- أريد أن أسمعك تقول "نعم" يا ورشان، فأنا أصدقك أيها المخبول

- حسناً... هنالك أمل... وحيد سيعيش... لقد سبح لوحده من القاع كاتماً نفسه حتى وصل إلينا وأنقذنا من الغرق... لن يستسلم بهذه السهولة... وحيد سينجو وسنستعيد حياتنا وسعادتنا... ربما نهرب بعيداً عن هذا الجحيم لكننا سنكمل حلمنا السعيد معاً... والآن جاء دورك لتقولي "نعم"... بعد أن ينتهي كل هذا هل تقبلين بي زوجاً مرة أخرى يا لوزة؟

- انظر يا ورشان! إنه يفتح عينيه.

معك الرقم 11.. تجهزوا للمرحلة الثانية من مخطط الفوضى.

- ماذا عن العميل الخائن؟...

يجري رجل بسرعة ليلا صائحا في وسط القرية أنه لم يقتله، يخرج في عقبه سكان القرية متسائلين عن القاتل والقتيل؟ لم يكن من شباب القرية كما أنه لا جثة موجودة ليعرفوا من هو القتيل. يُستدعى ضابط شرطة ليحقق في الأمر ليكتشف أن القرية التي حل بها للتحقيق في جريمة وهمية بها لغز أكبر من ذلك، لغز اختفاء أطفال ولدوا في نفس اليوم بتاريخ 6/6/6 يقوده هذا لمحاولة حل اللغز مع تكتم أهل القرية، ليدخل في دوامة من الأحداث التي لم يكن يصدق لها وجودا.

مكتبة نوميديا 98
Telegram@ Numidia_Library

ISBN 978-9931-677-30-7